مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاخبار

التاريخ : ١٩٨٢/٤/٢٦

عرض لآخر كتاب عن نضال السادات فى سبيل السلام

صدر أمس فى لندن

● ● هذا الكتاب له قصة فان مؤلفه فيليب فرناندیز ارمستو وهو أستاذ بجامعة اكسفورد انتهى من كتابته منذ أكثر من سنة حين كان الزعيم الراحل حيا • ولاسباب فنية تعطل اصدار الكتاب حتى الآن • وحين كنت فى لندن منذ أسابيع قليلة قابلت المؤلف وهو صديق قديم فاخبرنى أنه أدخل بعض التعديلات فى الكتاب وانه قرر اصداره يوم ٢٥ أبريل بالذات وأضاف « هذا اليوم هو يوم السادات ، بل انه يوم مشهودفى تاريخ العالم يؤكد نجاح سياسة السلام فى حل المشاكل الدولية » وأعطانى الكاتب نسخة غير جاهزة للكتاب هى التى أقدمها الآن

وتعد مقدمة الكتاب مفتاحا لما جاءفيه ولذلك فانى آود ان اعرض لبعض ماجاء فيها .

((فى يوم ٦ اكتوبر ١٩٨١ حين اغتيل الرئيس السادات فى القاهرة صار العالم ـ كما قالت رئيسة وزراء بريطانيا ـ مكانا اكثر خطورة . لقد كان طبيعيا من السادات ان يغطى على العالم حتى فى الموت . لقد كان سياسيا قادرا على توليد احاسيس متعارضة من العباده الى الكراهية . ان قدرته على الاستيلاء على خيال العالم كله لم يضارعها احد اثناء حياته . والآن وقد مات فان الاهتمام بحياته وأعماله قد زاد . ولهذا كتبت هذه الدراسة .. والغرض منها هو استكشاف بعض المشاكل ذات الاهمية الكبرة أوجب الاضطلاع حيال السادات : مصدر تأثيره على الاحداث وطبيعة هذا التأثير ، القوة الفريدة التى امتاز بها فى جذب انتباه العالم ، جنود اعماله واسلوبه السياسى .

علامة ارادته

لقد كان السادات نفسه يعتقد فى ان الفرد يستطيع ان يترك علامة ارادته على الأحداث التاريخية ولم يكن تاريخ البشرية بالنسبة اليه مجرد الصوبة فى أيدى قوى واسعة لايمكن السيطرة عليها ، ولكن هذا التاريخ هو ابتكار بشرى أصيل يخضع ، تحت سيطرة الله لان يتشكل فى أيدى الافراد . ولنا ان نسأل الى أى مدى تعتبر اعماله هو تاكيد لهذا . الى اى مدى ينتمى السادات الى هذه الطبقه الصغيرة من قادة العالم الذين لايحملهم جنود التاريخ ومده قرائنا يبدون وكأنهم يسيطرون على هذا التاريخ من على شاطئه . هل من العدل ان نراه كما أراد لنفسه ان يكون ـ قوة ذات فعالية حيث يكون معظم قادة العالم مجرد ردود فعل)

تقييم الانجازات

ويستمر المؤلف ليؤكد أن العديد من الكتب قد صدر وسيصدر عن السادات ولكن على الرغم مما صدر ـ وهو يعطى اكثر من عشرين كتابا ـ فانه لايوجد تقييم عام لانجازات السادات . وهو يرى ان كل مايمكن عمله وما يحاول هو لا اكثر من مجرد تقييم مؤقت ((لان قصة السادات لاتزال تنتظر الخروج من صفحات خافية ، ولذلك فان ما اقدمه هنا هو مجرد صورة مبدئية لبعض نواحى حياة السادات واعماله)) هناك موضوعات واضحة فى سياسات السادات التى يمكن التعرف عليها ومناقشتها . فانه استطاع خلال عمله ان يخلق حنكة سياسية اصيلة .

وان تحليل هذه الحنكة ، وذلك القدر السياسى من شأنه ان يساعد القارىء ليس فقط فى ان يفهم ماضى مصر الحديث بل وان يقيم مسارها المستقبلى المحتمل تحت تأثير رئيسها السابق)) .

خلب الملايين

وينهى الكاتب مقدمته بفقرة شعرت وأنا اقرأها بحزن والم ((لقد خلبنى السادات كما خلب الملايين وخاصة كالنبى الذى لا كرامة له فى بلده وانما فى بلاد أخرى . ان ما قدمه السادات لحقل السياسه يحظى بالاحترام والاعتراف به لقد اعطى السادات فى بعض اعماله ، وقد فشل من وقت الى آخر فى تحقيق نواياه ومثله العليا . ولكن فى نهاية اليوم ، فان اى مراقب للاحداث مهما كان بعيدا سيجد نفسه مضطرا الى احترامه وتقديره ان هؤلاء الذين جاءوا لينقدوه ، ذهبوا وهم يمدحونه . واذا كانت هناك احكام مضادة فان الاعجاب سيستمر للعظمة نواح عديدة لرؤياه للسلام والرفاهية للشرق الاوسط والتى يرجو كاتب هذا الكتاب ان تبقى طويلا بعد ان ذهب هو)) .

فى أعماق السادات

بعد هذه المقدمة الرائعة يغوص المؤلف فى أعماق حياة السادات ومعها حياة مصر ، ويربط بين تطور مصر السياسى وحياة الزعيم الخالد ودور السادات فى تلك الأحداث وفى

هذا الجزء بين المؤلف قدرته كمؤرخ استمد معلوماته من مصادر عديدة ، سواء الكتب التى صدرت بالعربية ولغات مختلفة أو ما نشر فى الصحافة

أو ماكتبه السادات فى ((البحث عن الذات)) . وحين يشرح المؤلف أحداث مصر فانه فى نفس الوقت يؤكد دور السادات فى معركة الاستقلال سواء فى نضاله ضد الانجليز أو السراى او فى الفترة الأخيرة ضد أية سيطرة خارجية من دولة عظمى

استمرارية الحياة

ويرى المؤلف أن الزعيم السادات كان يعتقد فى استمرارية الحياة فى مصر ، استمرارية تربط الحاضر بالماضى الفرعونى العظيم ، ولولا هذه الاستمرارية كما يقول الكاتب ما استطاعت مصر أن تبقى حتى الآن

على الرغم من خضوعها لاحتلال اجنبى خلال تاريخها الطويل . وقد شعر السادات بهذه الاستمرارية وكان يشعر شعورا تاما بذلك الرسوخ الذى يتميز به تاريخ مصر الطويل على الرغم من الهياج الذى يبدو

على السطح . كان السادات يعتقد ان شعب مصر الذى استطاع على الرغم من الغزوات والاستعمار الذى تعرض له أن يخلق الحضارة القديمة هو نفس الشعب الذى يتميز بقوة روحيه وفكرية تفوق كثيرا مصادر ثروة مصر وامكانياتها .. ان أرض مصر الطيبة ، كما كان يسميها

السادات سواء اكان يتحدث عن الوادى أو الصحراء ، هذه الأرض هى عنصر الوحدة والاستمرارية فى تاريخ مصر . كما أن نهر النيل : الشريان الاساسى للحياة هو الذى يوحد مراحل تاريخ مصر ..

أمة بلا قيود

ويرى المؤلف أن الفن السياسى لدى السادات قد تأثر كل التأثر بخلفية السيطرة الاجنبية من ناحية وبالنضال من أجل تأكيد استقلال مصر . ان المثل الاعلى الذى كان السادات يصبو اليه هو ان تصبح مصر امة لا تقيدها القيود الاجنبية أمة تستطيع ان تحدد دورها فى العالم وأن تأخذ طريقها هى ، وحين بنى السادات استقلالا حقيقيا لمصر بعيدا

عن القوى العظمى وعن الجيران الاغنياء فانه اقام بنيانا لابد أن يبقى ، وحين فتح السادات الأبواب التى كانت قد اغلقت فى وجه مصر فانه خلق أساسا لصداقة اكيدة للمستقبل مع الدول الغربيه ، كما أنه استطاع أن يوسع أفق دور مصر المستقبلى باقامه شبكة من العلاقات خارج نطاق العالم العربى ، فى افريقيا .

الرسوخ وعدم التغيير

ان حياة أنور السادات ، كما يقول المؤلف ، كانت تتميز بعنصر الرسوخ وعدم التغير ، ولعل ذلك لانه كرس نفسه من أجل تحقيق اهدافه القريبة الى نفسه ، وهى

الاهداف التى كانت صعبة التحقيق من قبل وهى ((ازالة اعتماد مصر على القوى العظمى ، واصلاح مسار الثورة واستعادة الروح القومية واعادة الحرية الفردية وخلق ديمقراطية مصرية والنضال من أجل الرخاء . تحقيق السلام . ان سياسته الداخلية يمكن ان نصفها بأنها حديثة ليبرالية برجمانتية وعقلانية وهى مزيج من فكر مصرى تقليدى متأثر بالغرب ولكنه لايخضع للغرب ، لقد كانت نظرة السادات للامور أساسها التقاليد والامس ان قوميته التقليدية وروحانيته الاسلامية غير المتزمتة هى التى كانت مصدر الوحى لكل ما قام به السادات من أجل مصر .))

السعي وراء السلام

ويحلل المؤلف بطريقة عالمية غير متحيزة انجازات السادات فى الداخل وكذلك انجازاته فى الخارج مخصصا جزء كبيرا عن السعى وراء السلام : ويقول ان تحرير ارادة مصر فى مجال العلاقات الخارجية تعد من أهم أعمال السادات ، ولكن العالم سيذكره كصانع السلام ، السلام مع اسرائيل وما أثاره ذلك السلام فى المنطقة ، فالعالم كله يرى ان اقامة السلام فى المنطقة يعد أعظم انجاز للسادات .

((ففى كسب الاستقلال الحقيقى كانت هناك ظروف ساعدت السادات ، اما كسب السلام فهو بلا شك انتصار فردى للسادات ، لقد حقق السادات السلام على الرغم من الظروف . ان السلام هو نتاج مهارة لم يساعدها الحظ ولعل هذا مثالا رائعا لعدم خضوع السادات للقوى الضاغطه التى كثيرا ما تبدو وكانها تتحكم فى التاريخ ، فأنه هو الذى استطاع ان يكيف التاريخ وان يفرض ارادته ، ورؤياه للمستقبل على مسار الأحداث . ان الظروف التى بدأ فيها السادات مبادرات السلام المتتالية كانت معادية للدرجة ان نجاحه يعكس ما كان يقوله ذاتما من ان السياسة هى فن المستحيل))

العقيدة والاخلاقيات

ولم يات نجاح مبادرة السلام لسبب برجماتية السادات فقط ، ولكن يضاف اليها عوامل اخرى أهمها عقيدة السادات الراسخة واخلاقياته المرهفة . فالسلام بالنسبة للسادات لم يكن مجرد هدف سياسى مفيد لمصر ولكنه كان أيضاً مرغوبا من الدين ومطلبا نبيلا بالنسبة للتاريخ . ويقول المؤلف وحين طالب السادات بالسلام العادل فانه كان يفكر فى العدل من الجانب الدينى الذى أساسه المساواة امام الله . لقد ألقى خطابه التاريخى فى الكنيست يوم تضحية ابراهيم الذى يراه المسلمون كأول مسلم . وكان ذلك الخطاب من اكثر خطبه ذكرا لآيات قرآنية ان هناك ثلاثه عناصر وراء مبادرة السادات وهى البرجماتية والدين والتاريخ .

ولاء السادات

للقضية الفلسطينية

ويستمر الكاتب وتلهث نحن وراءه ليعطى لنا صورة أمينة صادقة لا تحيز فيها ولا مرارة ولا حقد للزعيم الراحل أنور السادات وهو يحاول فى كل هذا ان يكون العالم الامين على الحقائق الذى لا يجعل تشويهات المقترحين تؤثر عليه انه يكتب عن ولاء السادات للقضية الفلسطينية وما حاول ان يفعله من أجلها . ويخصص المؤلف فصلا كاملا اضافه الى كتابة الاصلى

بعنوان ((الاغتيال)) وفيه بعض تفصيلات ما حدث كما يشرح خلفية التطرف الدينى الذى أدى الى عملية الاغتيال ويفند الاسباب التى يذكرها البعض لهذا الاغتيال ».

وفى خاتمة الكتاب يهاجم المؤلف ما نشره بعض أعدائه عن ((هذا الباس الرائع من سموم)) ففى هذه الايام تتحول هذه السموم الى كتب فى صورة تقييم شبه علمى . ان كل من يتمتع بسمعة رائعة فى حياته لابد ان يتعرض هجوما بعد موته . وفى حالة السادات فان قرحة اعدائه كانت على درجه وصلت الى قلة الحياء ولكن سمعة السادات تستطيع ان تتغلب على هذا الهجوم » ولاشك ان السادات سيجد دائما من يدافع عنه » ولا شك ان السادات سيجد دائما من يدافع عنه بل ان السادات سيجد معجبين فى كل مكان صادقه ، ولكن اذا نظرنا اليه بطريقة موضوعية فاننا سنجد ان انجازاته بها ما هو رائع وما سيكسب المديح الامين من العادلين غير المغرضين وبعد ذلك الكاتب فى صور سريعة انجازات السادات فى الاطار الاقتصادى . حين استطاعت مصر ان تمر باختبارات السبعينات القاسية ، وفى اطار السلام والعلاقات الدوليه وينهى الكتاب قائلا :

غير مسار التاريخ

وفوق كل شىء فان قدر السادات التاريخى الرفيع تضمنه صفتان تألقتا فى حنكته السياسيه فمن ناحية أنه استطاع ان يظهر مرونة تاريخية رائعة وقدرة على اخذ مبادرات تعدت قوة الظروف

وان يغير مسار التاريخ ، أن سياسته كانت ((فن المستحيل)) ومن ناحية اخرى فقد كانت له قوة المباغته ، والقدرة على القيام بعمل من شأنه ان ينشط العملية السياسية ويسرع فى التغيير تاركا المراقبين والمشاركين وهم يلهثون . ان الصفة الاولى تعد علامة العظمة الحقيقية ، تذكرنا بما قاله نابليون من ان العظمة هى القدرة على

السيطرة على المصير . اما الصفة الثانية فهى ذكاء ملفت للنظر جعلى السادات واحدا من اشهر رجال السياسة فى العالم » وكلتا الصفتين ساعدتا على اعطاء كل ما فعله السادات فى المجال السياسى نضارة متجددة واصالة . لقد خلق نوعا جديداً من الفلسفة السياسية العملية لما هو غير متوقع وذلك من طريق وضع المبادىء الاخلاقية والنزاهة قبل السياسة .

التزامه بالنزاهة

اذ مهما حدث حيال سمعة السادات أو لمصر السادات فى السنوات المقبلة فان التزامه بالنزاهة لن يطعن فيه أحد. قليل من القادة استطاعوا ان يصدروا حكما على الماضى كما فعل هو حين قال فى سيرته الذاتية عام ١٩٧٨ .

ان كل خطوة خطوتها خلال السنين كانت لصالح مصر وكانت مرسومة لتخدم الحق والحرية والسلام .

ان الوضوح الذى تابع به ذلك الغرض يمكن ان نراه الان . واذا استطاع هدف السلام أن يتقدم فى الجيل القادم ، واذا تحقق التعاون الاقتصادى فى الشرق الاوسط أو اصبح وشيكا ، واذا حلت مصر مشكلة الطاقة واعيد توزيع سكان مصر بطريقة أكثر فعالية ، اذا تحقق أى من هذه الاشياء فان ذلك يرجع الى درجة كبيرة لرؤية السادات ومجهوداته . لقد مات السادات فى فترة حرجة لسمعته ولكن فى النهاية فان شهرته ستحيا

مرسى سعد الدين